سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

خطبة جمعة

الأمراض

(آثار رحمة اللّٰه)

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه اللّٰه تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخُطبة الأولىٰ]

الحمد لله، تَفَضَّلَ علىٰ عِبَاده بأنواع النعم وأنواع الفضائل، أَحمَدُ الله وأُثني عليه الخيرَ كلَّه بما له من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، وأُثني عليه بأنه ذو الربوبية وذو الأُلوهية علىٰ خَلقه أجمعين.

فالحمد لله في الأُولىٰ والآخِرة، حمدًا دائمًا لا يَنْفَدُ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبدُ اللهِ ورسوله، وصَفِيُّه وخليلُه، لقد بَشَّرَ وأنذر، لقد أقام الحُجة وأوضح السبيل والمَحَجَّة، فطُوبىٰ لمن قبِل بِشارته، وقبل إنذاره، فتقرَّب من الجنة وتباعد من النار، طُوبىٰ له ثم يا بُشرىٰ له بما أعد الله جل وعلا للقابلين لرسالة محمد ﷺ من التوفيق العظيم في الدنيا، والأجرِ الجزيل في الآخرة، صلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ..

فيا أيُّها المؤمنون، اتقوا الله حقَّ التقوىٰ . .

عبادَ اللهِ، إن الله جل جلاله كان رحيمًا بالمؤمنين، كما قال جل وعلا في كتابه: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

الله جل جلاله رحيم بعباده المؤمنين الذين أسلموا لله جل وعلا وانقادوا له واستسلموا له بالتوحيد، وأطاعوا رسوله ﷺ، الذين عظَّموا الله بتوحيده، الذين أخلصوا الدين له، فالله جل جلاله رحيمٌ بهم في الدنيا، فهم إنما يَتَقَلَّبُون في رحمته، إن أصابتهم سرَّاءُ فبرحمته جل وعلا بهم أنالهم السراء، وإن أصابتهم الضراء فبرحمته جل وعلا بهم أصابهم بتلكم الضَّراء، فالله جل جلاله آثارُ رحمتِه بخلقه وخاصة المؤمنين تراها في كل حركة من حركاتهم، سواء من ذلك الكفار والمؤمنون، ولكنَّ رحمتَه بالمؤمنين أخصُّ وأخص؛ لأنهم أهل طاعته.

من أنواع رحمة الله جل وعلا بالمؤمنين تلكم الأمراض، وتلكم البلايا، وتلكم الأوصاب التي تُصيب أبدان أهل الإسلام.

والمتأمِّلُ يرىٰ أن تلكم الأمراض كان الأحقَّ بها الكفارُ الذين لم يوحِّدوا الله جل وعلا ولم يطيعوه، وتلكم نظرة ليس فيها من الحكمة شيء، والله جل وعلا ذو الحكمة العالية، وذو الحكمة البالغة ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] .

إن من رحمة الله جل وعلا بعباده المؤمنين أن جعل الأمراض تُصيبهم، وأن جعل البلايا تتناولهم من مُقِلٍّ ومن مُسْتَكْثِر، وتلكم علامة القرب من الله جل جلاله، فقد دخل أحد الصحابة علىٰ النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنك لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا – يعني: لَيَشْتَدُّ بك المرض – قال: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا**

يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» رواه البخاري وغيره[١].

والنبي ﷺ عندما سُئل: أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ**»[٢].

ويدخل في أنواع الابتلاء الأمراضُ، فالمؤمن تُصيبه البلايا، وتصيبه الهموم، وتصيبه الآفات والأمراض، وذلك من الخير له، فالأمراض كفَّارات لذنوب المؤمن، فالمؤمن في هٰذه الدنيا قلَّ ما يَسْلَمُ من أنواع الذنوب من الصغائر المختلفة، فإذا كان ذلك فإن الله جل جلاله يرحمه برحمةٍ معجَّلة إذا أصابه بأنواع الأمراض من تلكم الأمراض، مثل الحُمَّىٰ التي قال فيها النبي عليه الصلاة والسلام حينما سمِع بعظهم يسب الحمّىٰ: «**لَا تَسُبِّ الحُمَّىٰ؛ فَإِنَّهَا تَنفِي ذُنُوبَ الْمُؤْمِنُ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[٣].

وقد جاء في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَمٍّ حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كفَّر اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٤].

وهٰذا أيها المؤمنون ولا شكَّ من البُشرىٰ؛ لأن المؤمن يرىٰ ذُنُوبه وقد أَثْقَلَتْه، ويرىٰ معاصيَه لله التي ارتكبها وأقبل عليها واقترفها قد أثقلتْه، فإذا جاءته المكفِّرات من تلكم الأمراض لقِيَها بقلب راضٍ بما قدَّر الله جل وعلا عليه؛ لأنه يعلم أن ما أصابه الله جل وعلا به فإنما هو خير، كما جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: « **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهَ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[٥].

ولهذا كان من الْمُتَعَيَّن علىٰ أهل الإيمان ألا يُكْثِروا الشكوىٰ إذا جاءتهم الأمراض، فالشكوىٰ لغير الله جل وعلا مكروهة أو محرَّمة، وإنما أباح أهلُ العلم الإخبارَ بما في المرء من أنواع الأمراض إخبارًا لا شكوىٰ؛ لأنك إن اشتكيتَ فمِمَّن تشتكي؟ وإلىٰ مَن تشتكي؟ أتشتكي الخالق إلىٰ الخلق؟! فإن الله جل جلاله هو الذي ابتلىٰ، وهو الذي يُعطي مَن صبر، وهو الذي يَجزي مَن صبر، ويجزي من شكر، بيده الشفاء، وبيده الضُّرُّ، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧].

---

(١)أخرجه البخاري (ح ٥٣٢٤)، ومسلم (ح٢٥٧١).

(٢)أخرجه الترمذي (ح ٢٣٩٨).

(٣)أخرجه مسلم (ح ٢٥٧٥) واللفظ قريب من لفظ ابن ماجه (ح٣٤٦٩).

(٤)أخرجه البخاري (ح ٥٣١٨) ومسلم (ح ٢٥٧٢).

(٥)أخرجه مسلم (ح ٢٩٩٩).

الله جل جلاله يحب الصابرين علىٰ البلاء، ويحب الذين يتلقون ما ابتلاهم الله جل وعلا به بالرضا بما أنزل وقدَّر، والرضا له مَقامان:

- مقام واجب.
- ومقام مستحَب.

أما المقام الواجب: فهو الرضا بما جاء من عند الله جل وعلا، فإذا نظر المؤمن إلىٰ المصيبة، أو نظر إلىٰ المرض الذي أصابه، أو أصاب أحدًا من أحبابه، فعلِم أن الذي أرسل ذلك، وأن الذي أمرض، وأن الذي ابتَلىٰ هو الله جل وعلا فلحظَ فِعلَ الله جل وعلا رضِيَ بذلك الفعل؛ لأنه واجبٌ عليه أن يَرضىٰ وألا يَسْخَطَ علىٰ أفعال الله جل وعلا .

والمقام الثاني هو مقام الاستحباب: وهو أنه ينظر إلىٰ ما ابتُلي به من المصيبة ومن المرض الذي مرِض به وما أصابه من الآلام ويرضىٰ بها، فإن الرضا بالمصيبة مستحَب .

فهما مقامان: الرضا بما جاء من عند الله واجب ولا يجوز أن يَسخط، والثاني: الرضا بالمصيبة عينها، وبالمرض عينه، فإنه مستحَب .

وقَلَّ من عباد الله مَن يرضىٰ بما جاء من عند الله، وبالمصيبة نفسها؛ لأن الناس مقامات، هم درجات عند الله، والواجب الصبر؛ فإن الصبر علىٰ المصائب، والصبر علىٰ الأمراض، والصبر علىٰ الآفات واجب علىٰ المؤمن .

وعلامة الصبر أن يحجُز العبد لسانه عن كثرة التشكِّي، وأن يحجز يده عن اللَّطم وعما يُظهِر عدمَ رِضاه بفعل الله جل وعلا وبقضائه؛ لأن الرضا بالقضاء واجب، والرضا بالمَقْضِيِّ مستحَبٌّ، قال الله جل وعلا في سورة التغابُن: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال عَلْقَمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو أحد سلفنا الصالح الذين عُنوا بالتفسير- في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال: هو الرجل تصيبه المصيبةُ، فيَعْلَمُ أنها من عندِ اللهِ، فيُسَلِّم لذلك ويَرْضَىٰ[1].

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: من يعلَم أن المصيبة من عند الله جل وعلا فيرضىٰ بذلك ويسلِّم لمحبته لله ورضائه بما جاء من عند ربه الذي يملك ناصيته؛ فإن الله جل جلاله يَهدي قلبه، فيجعل قلبه مهديًّا لكل خير، فترىٰ لسانه ناطقًا حال البلاء بالثناء علىٰ الله، وترىٰ لسانه حال البلاء وحال المرض في شكر الله وفي حمد الله..

وذلكم أيُّوب عليه السلام، وهو من خاصة عباد الله المؤمنين، ومن المصطَفَيْن الذين اصطفاهم الله جل وعلا ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، إنه لما ابتُلي بالمرض الذي ابتلي به وسُئل أن يدعو الله بأن يعجِّل له الشفاء قال ما قال راضيًا بما قسم الله جل وعلا له، ولما اشتد به الوجع ودام أكثر من ثمانية عشر عامًا رفع يده إلىٰ الله جل وعلا وقال: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، فأجاب الله جل وعلا دعاءه وشفاه . . لقد ذكر حاله دون طَلَب كما يطلُب أكثرُ المُبْتَلَيْن.

والله جل وعلا يعلَم الحال، فسؤال الشفاء إنما هو من الله جل وعلا، والأطباء الذين يُداوُون إنما هم

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٢، رقم ٣٤٥١٠) ط. دار هجر .

أسباب يُسهِّلها الله جل وعلا، فإن أذِن بالشفاء علىٰ أيديهم ونفَع بما وصفوا، وبارك في كشفهم، وفي ما فعلوه؛ فإن المريض يناله الشفاء، وإلا فإن الله جل وعلا هو الذي يشفي علىٰ الحقيقة ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

الواجب أيها المؤمنون أن نعلم أن الأمراض مكفِّرات لما نُصيبه من البلايا، ومن الذنوب والمعاصي، وأن نعلم أنها رِفعة لدرجاتنا إذا صبرنا واحتسبنا؛ فإن الله جل جلاله له الحكمة البالغة، وله الفضل البالغ، وفضله ورحمته بالمؤمنين ظاهرٌ أتمّ الظُّهُور، يعرف ذلك مَن عَرفه.

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنىٰ وبصفاته العلا أن يجعل ما أصابنا كفَّارةً لِمَا قدَّمنا، ولما أسرفنا علىٰ أنفسنا، وأن يرفع به درجاتِنا، وأسأله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يشفيَ مَرضىٰ المسلمين، وأن يرفع لهم بما أصابهم الدرجاتِ، وأن يُكفِّر عنهم بذلك السيئات، إنه أكرم مسؤول، إنه أكرم مسؤول، وأجدر مَن يُجيب .

واسمعوا قول الله جل وعلا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًّا، وتوبوا إليه صِدقًا، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمَرَ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةَ مَن شَكَرَ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، الذي بشَّر وأنذر، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومَنِ اقتفىٰ أثَرَهُم واهتدىٰ بهُداهم إلىٰ يوم الدين .

أما بعدُ..

فيا أيُّها المؤمنون، اتقوا الله حقَّ التقوىٰ، واعلَموا أن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمدِ بنِ عبدِ الله، وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوىٰ الله ﷻ؛ فإن بالتقوىٰ فَخاركَم ورِفعتكم، اتقوا الله حق التقوىٰ، اتقوا الله في ألسنتكم، اتقوا الله في أعينكم، اتقوا الله في أيديكم، اتقوا الله في جميع أركانكم وجوارحكم، لا تتكلموا إلا بطَيِّب، لا تنظروا إلا لِمَا أحلَّ الله جل وعلا النظرَ إليه، لا تسمعوا إلا لِمَا أحلَّ الله سماعَه، لا تكتبوا بأيديكم أو تعمَلوا بأيديكم إلا ما يُرضي الله، لا تمشوا إلا إلىٰ طاعات الله، أو إلىٰ ما أباحه الله، فتلكم حقيقة تقوىٰ الله في الجوارح، فاتقوا الله حق التقوىٰ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون، لقد أمرنا الله جل وعلا جميعًا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنَّىٰ جل وعلا بملائكته؛ فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] .

اللّهمّ صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علىٰ عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارضَ اللّهمّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحب والآل، ومَن تبِعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

اللّهمَّ إنا نسألك أن تُعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللّهمّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللّهمّ أعلِ راية المؤمنين فوق كل راية، اللّهمّ اجعَلْ راية أهل الإسلام في جميع أرضك مرفوعةً فوق كل راية، اللّهمّ ارفَعْ أهل الإسلام علىٰ جميع من في الأرض يا رب العالمينَ، اللّهمّ أعِزَّ الإسلام وأهله، وأذِلَّ الكفرَ وأهلَه، يا مجيبَ السائلين.

اللّهمّ إنا نسألك أن تُؤَمِّنَنا في أوطاننا، وأن تُصْلِحَ وُلاة أُمورنا، اللّهمّ دُلَّهم علىٰ الرَّشاد، وباعِدْ بينهم وبين سُبُلِ أهل البَغْيِ والفساد، اللّهمّ وفِّقهم بتوفيقك، وسدِّدْهم بتسديدك، واجعَلْ عَمَلَهم في رِضاك يا أكرمَ الأكرَمينَ.

اللّهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنىٰ وبصفاتك العلا، وباسمك الأعظم الذي إذا دُعيتَ به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك أن تجعل المؤمنين غالبين علىٰ اليهود والنصارىٰ، والمشركين والوثنيين في جميع الأرض، يا ربَّ العالمينَ، فإنك وعدتَ بذلك ووعدُك حقٌّ، وقولك حق، وأنت الحق .

اللّهمّ فانصر عبادك، واجعلهم غالبين علىٰ اليهود المَرَدَة، وعلىٰ النصارىٰ، وعلىٰ جميع المشركين، يا قويُّ يا عزيز.

اللّهمّ وارفع عن هٰذه الديار الربا والزنا وأسبابهما، وادفع عنها الزلازل والمِحَن وسوء الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين .

اللّهمّ إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، اللّهمّ أصلِح قلوبنا جميعًا؛ رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، اللّهمّ أصلحنا جميعًا، اللّهمّ لا تُمتنا إلا وقد رضيتَ عنا، اللّهمّ لا تمتنا إلا وقد وفّقتنا لتوبة نَصوح بها ترضىٰ عنّا، يا أكرمَ الأكرمين، نَبُوءُ إليك بذنوبنا، ونعترف بخطايانا، ونعترف بمعاصينا، لكن أنت الغفار الذي وسِعَتْ رحمتُه كل شيء، اللّهمّ فيا غفار اغفر لنا، اللّهمّ يا رحمان ارحم ضعفنا، اللّهمّ يا غفار اغفر لنا، ويا رحمان ارحم ضعفنا، إنك أنت الغفور الرحيم .

عبادَ الرَّحمٰن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يَذْكُرْكُم، اذكروه بألسنتكم وبأعمالكم وفي كل أحوالكم يَذْكُرْكُم، واشكروه علىٰ النعم يَزِدْكُم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].